هذه المحاضرات أتوجه بها إلى طلاب السنة الثانية فلسفة كسند بيداغوجي يستأنسون به للدخول إلى حقول الفلسفة التي يطلع عليها. و فيها (الحاضرات) ما يسهل على الطالب ممارسة الفعل الفلسفي أولا؛ و بناء بحوثه الفلسفية ثانيا، بعد الاطلاع على أهم القواعد التي تضبط طريقه و توجه مسلكه .

و حرصنا أن نبدأ من تحديد اهمية اتباع المنهج الفلسفي من أول خطوة إلى إخراجه للقراءة و التقييم و للاستفادة . فتكون المنهجية عونا له في تخريج عروضه و بحوثه و مذكرات تخرجه .

الدرس الأول: منهجية البحث الفلسفي ،

تمهيد :

ارتأيت أن أستبق التحدث عن تحديد معنى المنهجية في حقل الفلسفة و أصولها و قواعدها..للحديث عن الفلسفة بصورة عامة حتى يسهل على الباحث الناشيء فهم ما نقصد إليه و يدرك أن المنهج جزء من الفلسفة ذاتها مادامت الفلسفة ترتكز على ثلاثة أعمدة: المنهج و الموضوع و المصطلح، فمسار التكوين في الفلسفة مهما تعددت جوانبه و طالت تمفصلاته فإنه يرجع إلى هذه الأعمدة .

1- الفلسفة و المنهج

إنّ الفلسفة في مهمتها تبحث في العلل القصوى و الماهيات و لا تقف عند الظواهر و الجزئيات للوصول إلى الحقيقة كما وصفها (ارسطو طاليس384-322 ق م) حين صرّح في كتابه التحليلات الثانية " أنّنا نعرف شيئا معرفة مطلقة و ليست معرفة عرضية ..عندما نعتقد أننا نعرف العلة التي أوجدت الشيء، و أن هذه العلة هي علته و أنّ الشيء لا يمكن أن يكون على غير ما هو عليه. (انظر :Aristote,Seconds analytique I,2,71b) فما يقنع و يكفّي العامي و العالم لا يرضي صاحب النبرة الفلسفية . لهذا تتميّز بمصطلحات لها دلالة خاصة يتعرف علها الطالب من خلال النصوص الفلسفية و المعاجم فيكون له خزانا خلال مساره .

كذلك الفلسفة منهج متميز له قواعده و ضوابطه في التفكير – تحليل و بناء – و لما كان المنهج هو ما يميّزها عن العلوم و الفنون و مختلف الخطابات الأخرى فلابد من التركيز على أصوله وتبيان ضوابطه لتعبيد الطريق للباحث الناشيء و توفير ما يسهل مسلكه

ليسترشد به في كل خطواته من ميلاد الفكرة إلى تخريجها في شكل بحث أو عرض أو مقال أو مذكرة أو أطروحة تخرج .

هذا، و مهما تنوعت موضوعات البحث في الفلسفة فإن الطالب يدرك أنها عبارة عن ممارسة للفعل الفلسفي في شكل حوار يجريه بينه و بين ذاته أو بينه و بين الغير يحاول الإقناع بالحجة و البرهان لأن التفكير للنفس هو تفكير للغير.فخذ مثلا التفكير في الخير و الشرّ، تتساءل: لماذا ما أراه خيرا يراه غير شرا؟ يامروننني أحيانا بالحفاظ على مصلحتى في الوقت الذي نرى كثريين يُستهجن سلوكهم هذا ؟ كيف احمي المصلحة من الأنانية؟ تلك مساءل تطرح و تكشف عن الآراء المختلفة .

2- منهجية البحث الفلسفي: إذا كان البحث هو ثمرة مجهود يُقَدم للآخرين فلابد لحسن الإكرام أن يعرف الباحث أهم القواعد التي يلتزم بها لتذليل الصعوبات و اقتصاد الجهد و التحصن من الطفيليات التي تشوش عنه فتفسد طريقه.

لهذا،لابد أن يعرف الباحث إنّها – المنهجية – طريقة التفكير الاستدلالية المدفوعة بروح البحث الفطرية القبلية التي تحركها الحاجة إلى مواجهة المشاكل التي يكتشفها الفكر و لا توجد نفسها بنفسها(محمود يعقوبي – اصول الخطاب الفلسفي ، 82) و يسعى إلى بنائها و حلّها بأدوات العقل و حمولته لإزالة القلق المعرفي بحجة البرهان و الحجاج .ويخبر الباحث عن بحثه بما يكتبه و يقوله .

و الاطلاع على البحوث الفلسفية الجادة يكتشف ببساطة أن منهج الفيلسوف يختلف عن باقي العلوم و الفنون الأخرى على مستوى النظري أذكر منها: الشمولية إذ ينظر الى القضايا نظرة كلية شاملة من جميع جوانبها لهذا يغلب عليه طابع التجريد لان الكل غير محسوس. النقدية لان الفيلسوف لا يستهلك النصوص و لا ينفعل بها بل يُوجدها و ينتقدها و ينظر في استدلالاتها انطلاقا من قواعد المنطق. لهذا، مادام البحث الفلسفي موضوعه كلي عقلي

فأدواته عقلية بحتة . و يستطيع القارئ لكتب الفلسفة الاصيلة ان يدرك هذه الخصائص بكل سهولة ، و النصوص هي الواجهة التي تكشف عن طبيعة المنهج.

درس : ابتكار موضوع البحث و شروطه

تمهيد:

الباحث في مجال العلوم و الفلسفة مُجبر و مُلزم على المطالعة و القراءة المستمرة للنصوص التي ينتجها و ينشرها الباحثون، و ليعلم أن كل نص –بحث ، مذكرة ، اطروحة، كتاب، مجلة محكمة...تتناول نموذجا يستأنس به في معرفة جوهر البحث و المراحل التي تحرك فيها الباحث بفكره و ادواته العقلية و اللغوية ، و هي في الأصل طرائف عمل بها الباحثون ذوي التجربة و الحنكة (أصول الخطاب الفلسفي، يعقوبي محمود ص5). فكيف نكتشف الموضوع الذي نشتغل عليه في البحث و ما هي الشروط المنهجية المساعدة على ذلك؟

أولا : اكتشاف الموضوع:

إنّ الذي يتفق عليه الباحثون هو : إن البحث الفلسفي لا يأتي من العدم، و أن المعرفة هي التي تنتج المعرفة و هكذا التسلسل. فيلزم عن هذا ضرورة الخبرة المكتسبة بالدراسة و المطالعة للاسترشاد و معرفة المسلك الذي يتوجه فيه، لأن تجربة السابقين من شأنها أن تنوّر طريق الباحثين و لكن يجب توخي الحذر حتى لا يبقى مقلدا أعمى.

على الباحث الناشئ أن يجتهد من بداية طريقه، يتابع محاضرات أساتذته و النصوص التطبيقية التي تعمق آثار الأفكار التي تختمر في الذهن بالمناقشة الاستدلالية المركّزة الهادفة وترتيب الأفكار و تدوينها حتى لا تضيع و يسهل استدعاءها عند الحاجة. و بعد الانفتاح على الموضوعات المختلفة من خلال الدروس يلزمه المسارعة للكتب و المجلات و أعمال المؤتمرات و الأطروحات التي نوقشت بجدية حتى يكون أمام نشاط حقيقي من شأنه أن يغذي ذاكرته بحمولة معرفية أكثر دقة و أوسع نطاق تجعله قادرا على القيام بحوار بينه و بينه و بين ذاته و بينه و بين الكاتب أو الباحث الآخر. و هذه الخبرة الأولية ممكن أن

تتحول لديه إلى قدرة على ممارسة التفلسف و هذه القدرة على التفلسف تولد لصاحبها قدرة على ابتكار البحث الفلسفي.(أصول الخطاب الفلسفي، ص84).

هذا، و ليتأكّد الباحث في الفلسفة بأن سر البحث فيها يبدأ من توفير هذه المهارة التي تتطلب صبرا و استمرارية و مداومة بالفعل و بالانفعال. فمادامت النماذج التي ذكرناها متوفرة فمن الضروري أن يستقريها و يتفحصها لأنها مجهود من سبقه تتوفر على أهم محطات البحث التي استخدم فيها الباحث المؤلف أدواته و معارفه.فحين تستفز الحاجة الى المعرفة بسبب الجهل و النقص، و حين تتحرك قريحة حب الحقيقة يتقوى الباحث و يسعى إلى ذلك فتتبعث فيه المشكلة الفلسفية أو على الأقل ينتابه شعور يستفزه على جهله و من هنا تبدأ معركة التساؤل و تلبية الفضول. لكن ما هي الشروط المساعدة على ذلك؟. ليعلم الباحث أن هذه الشروط لا تأتي إليه طائعة جاهزة بل هو من يصنعها و يرتبها و يوفرها تارة تكون سهلة المنال و أحيانا تتطلب منه الجهد و الصبر.

أولا : ماذا يكمن أن يُعرف لابتكار موضوع البحث؟

1/ كثرة الإطلاع :

النظر الفلسفي يكون شاملا من جميع الجوانب، و لجميع المعارف، لا يستخف بأي رأي أو معلومة قريبة أو بعيدة، فمثلا: أزمة المعاصرة ، التخلف، ينظر إليها السياسي الاقتصادي السوسيولوجي السيكولوجي ، الشرائع...كل من زاويته، لكن الفيلسوف يكون تساؤله شاملا كليّا. لهذا لا يمكن أن ينجح الباحث في الفلسفة في تساؤله و اكتشاف موضوعه إذا لم يجمع بالاطلاع على نظرة العلوم و الفنون و الشرائع. و غير بعيد يدرك فلسفة ديكارت و تأثرها بالرياضيات ، و فلسفة أرسطو و تشكلاتها مع المنطق و الميتافيزيقا و فلسفة ابن رشد بالمنطق و علم الاصول و علم الكلام...

لهذا ،الطالب الباحث يجب عليه ان يستحضر كل المعارف والخبرات التي حصل عليها في المواد الأخرى خلال مسار تكوينه، لأن تساعده على التفلسف و اكتشاف القضايا الهامة و مشكلاتها. بجدية يميز بين اشكالية البحث و اشكالية العرض و اشكالية المقال و اشكالية المذكرة و الاطروحة ، تختلف في الدرجة و التعقيد و المسالك التي يقطعها . و هنا تتدخل مهارة الباحث في الضبط و الدقة ليختار ما يلزمه في مهمته سواء كان مبتكرا أو شارحا موضحا ناقدا أو محققا لنصوص كانت مغمورة .

2 : النظرة الشاملة لجميع المعارف:

الباحث في الفلسفة يستوجب منه أن تكون معارفه منفتحة و شاملة لجميع مصادر المعرفة، و ان يستقري كل ما يجده من المعارف لأن تمسكه بالخصوصية الفلسفية في النظرة و في التساؤل و في المنهج لا تحجب عنه الميادين الأخرى، لأن النظريات الفلسفية لا تنفصل عن الإنتاج العقلي في العلم و في الدين، كما أن الكثير من الأسئلة الفلسفية أجاب عنها العلم و نبتت عنه تساؤلات جديدة. مثلا : لا يستطيع الباحث ان يستشكل في فلسفة الرياضيات الاّ بالاطلاع على تاريخها و التطبيقات التي عرفتها في الميادين الاخرى بالبيولوجيا و الطب و التكنولوجيا ..

3: **التحرر من سلطة الآخرين:**

الباحث يطالع و يستقري النصوص دون أن يبقى أسير نظرية أو مذهب بعينه حتى ينفتح على النقد و التجديد، لأن الافكار قد تسيطر على عقل أو عقول أو أمة بكاملها، و هذه السيطرة تكلّس العقل و تُربقه و تمنعه من الابتكار، حتى لا يتساءل عن ماذا أزيد عن ما قاله الفيلسوف الكبير الفلاني او العالم فلان ووو.فأرسطو تحرر من سلطة فابتكر، و الفارابي تحرر من لغة اليونانيين فحرر لغة المنطق العربي، الغزالي تحرر لما استلهم لغة الأصوليين و المتكلمين و الفلاسفة و ابتكر معجما جديدا...

4: تحري الدقة و الاجتهاد في السعي للحقيقة:

التعامل مع النصوص و الدلالات و المعاني الفلسفية يجب أن يكون دقيقا، أو على الأقل يتدرب الباحث على اقتفائها من لغة الفيلسوف في نسقه– الكلمة الوحدة لها معاني مختلفة من فيلسوف لأخر و من علم لأخر مثلا: الله عندارسطو ليس الله عند ديكارت ، و الله عند المسلمين حقيقة تختلف عنهم تماما . فضلا عن تصور الباحث ما يمكن تفسيره و فهمه و الخروج من نفقه بأدوات ممكنة و أفكار لا تتجاوز عقله.

درس: كيف يوظف الباحث أدواته العقلية لابتكار البحث؟

لا شك في أن المعارف وحدها لا تكفي لاكتشاف موضوع جاد للاشتغال عنه، فكما أن الرمال و الحديد و الاسمنت لا تبنى وحدها البيت الجديد كذلك لابد من كفاءات و مهارات يحسن استعمالها بالاستئناس بالطرق الناجحة التي استعملها الباحثون و الفلاسفة حتى يوفر الجهد و السرعة في انجاز ما يشتغل عليه و نذكر منها :

أ: تسجيل المعلومات و الأفكار : الباحث و هو يقرأ و يمسح و يطالع يسجل كل فكرة يراها ضرورية و مهمة تخدم بحثه و موضوعه في أي جزء منه، فمادام التعامل يكون مع النصوص فلابد من تدقيق الجمل و الفقرات و ترتيبها و تنظيمها حتى يسهل الرجوع اليها و توظيفها في محلها و استخلاص الآراء و المواقف و الحجج و الأدلة منها. الكتابة نحارب بها النسيان و الضياع.

ب: **الاستشكال بوضوح:** نقصد بالاستشكال تحويل القضايا و الموضوعات إلى محل تساؤل جديد حول حقائق الأشياء و عن عللها القصوى؛ و تتضمن صيغة السؤال جميع الاحتمالات الممكنة و الافتراضات الحاصلة و هي التي تكون معلم الطريق الذي يسلكه الباحث في تحليل المشكلة.ولابد أن تكون المشكلة ليست في متناول العالم و لا جميع الناس، يعني

ينبغي البحث عن المشاكل الفلسفية خارج نطاق المعارف العامة و خارج المعرفة العلمية .(اصول الخطاب الفلسفي ص96)

ج: تحليل الالفاظ و التراكيب: يجب البحث عن المعاني و الأسرار في وسط حشد من الألفاظ و التراكيب التي تدل على معرفة الكلمات ووظائفها، و فهمها يسهل الابتكار يقول ديكارت: و الثانية أن أقسّم كل واحدة من المعضلات التي أبحثها إلى عدد من الأجزاء الممكنة و اللازمة لحلها على أحسن وجه. و الثالثة أن أرتب أفكاري. فأبدأ بأبسط الأمور و أيسرها معرفة، و أتدرج في الصعود شيئا فشيئا حتى أصل إلى معرفة أكثر الأمور تركيبا، بل أن أفرض ترتيبا بين الأمور التي لا يسبق بعضها بعضا بالطبع. و الأخيرة أن أقوم في جميع الأحوال بإحصاءات كاملة و مراجعات عامة تجعلني على ثقة من أنني لم أغفل شيئا(ديكارت رونيه، مقالة الطريقة، ترجمة جميل صليبا بيروت1953، ص75، اصول الخطاب،ص98)

د: المرونة الفكرية: الباحثون تتشكل لديهم أفكارا و تصورات إن ترسخت تكلّست و تصبح عير قابلة لفكرة جديدة حتى لو بنيت على دليل، و هنا تصعب مهمة التغيير و التجديد و يُحشر الباحث في زاوية واحدة، فينحرف عن الهدف العام و الفلسفة سعي إلى الحقيقة بالحجة و بالبرهان.

خلاصة :

التجديد في البحث الفلسفي قصد كل باحث يأخد الأمور على محمل الجدية يبدأ بقراءة كل ما يجده حوله لتتفتح قريحته على أهم القضايا و يعرف جهود الباحثين و مسالكهم و أدواتهم، و يطلع على لغتهم و المعاني التي تحملها دلالاتها، و يتفاعل مع المشكلات بمرونة ليس ليقبع عندها بالترف المعرفي الانفعالي، بل يجتهد ليكون فاعلا في التصورات و في التصديقات و يؤكد جهده بالبناء و التأليف الذي يطلع به الآخرين.

الدرس : النص الفلسفي – توظيفه

تمهيد :

بعدما عرفنا البحث الفلسفي و أنواعه و كيفية بنائه و هيكلته ثمّ يكتشف الباحث المطلوب منه للتعامل مع الإشكالية التي اختمرت في ذهنه و عزم الاشتغال عنها عبر مراحل تظهر في تمفصلات يفرضها التقسيم المنطقي للبحث التي يتحرك فيها باستعمال أدوات العقل و وظائفه من تحليل و تركيب و استنتاج و استقراء و نقد دائم في عالم المعقولات (حديث الباحث عن حقائق عقلية) . فهل ينته بحثه عند التقسيم و الهيكلة؟

إنّ التقسيم الذي يتهيكل فيه البحث هو بمثابة الهيكل العظمي للبحث يحتاج إلى ما يملؤه من مادة يتطعّم بها و روابط يبني بها المعرفة الاستدلالية في صورة حجج عند البناء و الإثبات أو الهدم و هذا شرط لتشكل أي أطروحة . فكيف يتحصل الباحث على مادة بحثه؟

أولا : النصوص طعام البحث :

الذي لابد أن يعرفه الباحث هو أن البحوث هي إنتاج يتألف من إنتاج، لأن المعرفة هي التي تنتج معرفة ، وبعبارة واضحة: النص ينتج عن نص أو نصوص وهكذا، لهذا كل بحث منطلقه النصوص و ينتهي إلى تأليف نصوص .

فمادام النصوص تكتسي أهمية مركزية في أي بحث لأنها قاعدته و أرضيته فكيف يفهم الباحث النص و كيف يستعمله في بحثه ؟

يكاد يجمع الباحثون على الأبعد الثلاثية للنص: ما قبل النص – النص و ما يحتويه – و ما بعد النص – فأسلوب الحفر في النصوص – مهما كانت طويلة او قصيرة – هو الطريق الأمثل لاستخراج الآراء و المواقف من بطون النصوص ، فضلا عن ما يكتسبه الباحث من خبرة انطلاقا من ما وجده غيره من الباحثين الذين سبقوا .يقول ديكارت 1596–1650 :

لكي يكسب العقل الحصافة يجب تدريبه على البحث عما وجده غيره– ouvres et lettres. Paris1958. P69 .

أين يجد الباحث النصوص ؟

الباحث في الفلسفة بجميع حقولها قبل تكليفه بانجاز عرض أو بحث في صفه أو مذكرة تخرجه يتلقى من أساتذته من الخبرة ما يكفيه لمعرفة مكونات البحث و مستلزماته ، يسمع المحاضرات (تأليف)، يتابع تحليل النصوص (تطبيقات) التي وجدها غيره في:

كتاب : و الكتب تتفاوت في الحجم و الدقة و الأهمية ، يجدها لمؤلف واحد و لعدد من المؤلفين شاركوا في تأليفه ،و هو أصلا متن يتألف من نصوص بعضها من تأليفه و بعضها مما نقله عن غيره . و يبقى الطالب الباحث مستأنسا و مسترشدا بأستاذه أو مشرفه.

المجلات المحكمة : و هي الفضاء المتخصص الذي تجتمع فيه مقالات عديدة يكتبها الباحثون و ينشرونها لاطلاع غيرهم عن إنتاجهم في أعداد (فصلية، سداسية ، سنوية) أو دوريات . تحتوي على قضايا في غاية الأهمية .

مجلات أعمال مؤتمرات: في الندوات و الملتقيات و المؤتمرات الوطنية و الدولية بعد اختتام الفعاليات و النشاطات و الورشات يتم انتقاء المقالات ثم تنشر في كتاب جماعي.

المخطوطات : و هي يتركه الباحث من عمل فكري مكتوب دون نشره.

لهذا الباحث ملزم بأن يطلع و يستقري النصوص التي تتألف منها المقالات و المحاضرات و الكتب بالدقة و التثبت و استخراج المشكلات منها و الآراء التي اقترحها أصحابها و الأدلة و الحجج التي أسس عليها الباحثون مواقفهم ، والانتباه إلى الألفاظ و المصطلحات التي أوردوها. لكن: يجب التحرز و الحذر لفهم اللفظ كما أراده المؤلف و فهمه في بيئته الزمانية المكانية. و يجب مراعاة السياق الذي جاءت فيه الألفاظ و

المصطلحات و الأفكار التي تحملها الدلالات لأن: السياق في الأصل هو جملة المعاني الفرعية التي تتساق من المعنى الأصلي أو تنفصل عنه (محمود يعقوبي، أصول الخطاب، ص51)، وفي هذا المقام سيكتشف الباحث القارئ بأنّه لا يفهم من النصوص إلاّ ما هو في مقدوره الفكري و اللغوي ،–هذا ما يستفزه لمضاعفة جهد المطالعة – وخاصة إذا كان يعرف ان من شروط البحث و قراءة النصوص أن لا يفهم الباحث من الكلام الكاتب لا أكثر مما أراد، و لا أقل منه.(أصول الخطاب، ص52). و في بعض الأحيان يضطر الباحث لاستعانة بمؤلفات شارحة أو شروح و حواشي لفهم النص مثل: عندما نجد صعوبة في فهم نصوص أرسطو المنطقية نلجأ إلى ما كتبه (جول تريكو أو ابن رشد الحفيد) حول نصوص أرسطو. فهذا مسلك مفيد لكنه محفوف بالأخطار لما يحمله من شكوك. خاصة إذا وجد الباحث شروحا متعددة لمتن واحد . مثل : أن تقرأ الكتاب المقدس (الإنجيل) ثم ترجع إلى شراح نصوصه، فتجد من يحاول الإفهام و تجد من يحاول التلبيس و إثارة الشكوك والغموض. وهذا فيه من إمكان تأثير الشارح في النص بالزيادة أو النقصان...

فالغرض من القراءة و المطالعة و الحفر في النصوص هو الوقوف على ما يحتاجه الباحث من أفكار و أراء و مصطلحات يدرك أنّها ضرورية تفيده في بحثه و في تحليله للنصوص وفي فهمه لوحدات النص (مشكلة –رأي أو آراء– أدلة و حجج–) وأسلوب عرضه .

وفي مجمل القول، إنّ قراءة الكتب و الدوريات ...لأجل توسيع الباحث لدائرته المعرفية والتعرف على أدوات الحل و الاستدلال حتى تكون عونا و سندا لانجاز بحثه . و ميزانا لفحص قدراته. لأن التعامل مع النصوص تمرين لتنمية مهارة التصور و التصديق و طرح المشاكل الجديدة .